المشـــكلات الناتجـــة عن استعمال تكنولوجيا الاتصـــالات والمعلومات وآليات التعامل معها

د. آمنة فرج المغزازي ـ قسم التربية وعلم النفس ـ كلية التربية
جامعة طرابلس

المقدمـــــــة:

التكنولوجيـــا : تعني التطوير وتطبيق الأدوات وإدخال الآلات والمواد والعمليات التلقائية، والتي تساعد على حل المشاكل البشرية الناتجة عن الخطأ البشري، أي : أنَّها استعمال الأدوات والقدرات المتاحة لزيادة إنتاجية الإنسان وتحسين أدائه.

أي : أنَّ التكنولوجيا مجموعة الطـــرق التي أمكن التوصُّل إليها، والتي تؤدي إلى رفع الكفاءة في كل نواحي النشاط الإنساني، وهي عملية خلق وإبداع وتطوير وتطبيق معارف باستخدام أساليب حديثة ومتطورة ، وصولًا إلى أحدث المُنجزات التي يستطيع الإنسان استخدامها في أوجه مجالات الحياة ، فالعلم هو الذي يصنع التكنولوجيا، ونشاطات العلم والتكنولوجيا الآن تغطي مساحةً واسعةً جدًّا من المعرفة وزيادة على ذلك، فإنَّ طبيعة هذه النشاطات مُتشعِّبة جدًّا، ويشمل ذلك جميع العلوم الأساسية والتطبيقية بالإضافة إلى جميع مجالات التكنولوجيا، هذه العلوم الأساسية تحاول استكشاف ووصف وتحليل وفهم الظواهر الطبيعية، أمَّا العلوم التطبيقية فتهتم بتنمية المعرفة العلمية وإلى أيّ حدٍّ يمكن معه تحويلها إلى منتجات: جسور، محركات، مواد، أبنية، مجمعات بتروكيماوية، تصاميم عصرية، أجهزة راديو، آليات كهربائية،... الخ .

وما أن يصبح مُمكنًا تحويل المبادئ الأساسية إلى منتجات محسوسة حتى تغلب التكنولوجيا، وما أن تغلب التكنولوجيا حتى يتغيّر طابع النشاطات وتصبح العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية محورية في التحليل.

وعلى الرَّغـــم من معرفتنا بأهمية التكنولوجيا وإسهاماتها في كافة العلوم فإنَّه لا ينبغي لنا أن نتجاهل العواقب والمشكـــلات الاجتماعية والحضارية والاقتصادية التي تنتج عن الانغماس في تبنِّي هذه التكنولوجيا دون خطة قومية وسياسات إعلامية تكفل عـــدم سيطرة هذه التكنولوجيا على مجتمعاتنا، حيث تقول (غاريت ها ردين):[1]، "إنَّ لكل تكنولوجيا نتائج جانبية تؤدي إلى عواقب لا نتوقعها عامة، ونحاول إنكار وجودها أكبر وقت ممكن".

وبذلك فإنَّ واجبنا العلمي يُحتِّـــم علينا عدم الانغماس في الأحلام البرَّاقة التي تولِّدها فينا إغراءات التكنولوجيا الحديثة والدعوة إلى النظر إلـــى خلفية هذه التكنولوجيا وأثرها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري علينا، فالتكنولوجيا الحديثة عادة ما تؤدّى إلى زيادة الاعتماد على الآلات سريعة العطب وكذلك الاعتماد على منتجيها، وهم عرضة للخطأ، وغالبًا ما تكون لهم مطامع اقتصادية أو سياسية في إدخال ما ينتجونه من تكنولوجيا إلى مجتمعاتنا.

الأهميـــــــة:

لعلَّ أهمية هذا البحث تكمن في مساهمته في بلورة التصور النظري الخاص بأثر استخدام وسائل التكنولوجية على الفرد والمجتمع من جوانبها المختلفة، ومن تمَّ تحليل ودراسة التغيُّرات التي تحدث وتفسيرها، ومساهمتها في معرفة مدى دعم الأسرة وتشجيعها لأبنائها في استخدام وسائل الإنترنت المختلفة، ومعرفة المشكلات الناتجة عن الاستخدام السيئ لوسائل التكنولوجيا وتحليها ومحاولة اقتراح الحلول لها.

الإشكاليات:

من خلال الانتشار السريع لاستخدام وسائل التكنولوجيا المختلفة في عالمنا بشكلٍ عامٍ، وفي مجتمعنا الليبي بشكلٍ خاصٍ، ذلك الاستخدام الذي طال كل أفراد الأسرة دون استثناء، ونادرًا ما يكون هذا الاستخدام جيدًّا ومفيدًا، ولعلَّ المؤشرات التي نلحظها من تفكك أسري وغياب الوعي لدى الأبناء بالقيم الدينية والأخلاقية وحالة الضياع التي يعيشها الشباب، كل تلك المؤشرات وغيرها تُحتِّم علينا دراسة الموضوع بدقة، وسيكون تركيزنا حول أهم ثلاثة عناصر نرى أنَّها الأكثر استخدامًا، وهي:

البث التلفزيوني الفضائي، تقنيات الإنترنـــت، والهواتف المحمولة، وأثارها على الفرد والأسرة.

فالأفراد هم العناصر الأساسية لتكوين الأسرة وكل ما كان تكوينهم النفسي والاجتماعي والديني والأخلاقي جيدًا انعكس ذلك بالإيجاب على الأسرة، وكلَّما كانت الأسر جيدةً في تكوينها انعكس ذلك على المجتمع.

وبذلك فإنَّ هذا الموضوع يطرح العديد من الإشكاليات الجديرة بالدراسة والبحث، من بينها:

ما الذي تقدمه لنا تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات؟ وما الذي تسلبه منا؟ وما المشاكل الناتجة عن سوء استخدامنا للتكنولوجيا؟ وإلى أي مدى أثَّر انتشار وسائل تكنولوجيا

المعلومات والاتصالات على الأفراد سلبًا وإيجابًا؟ وهل ما نشهده من تطور في هذا المجال مسؤول عن بعض السلوكيات الخاطئة لدى بعض الأفراد؟
ماذا أضافت هذه التقنية لحياتنا في مجالات المعرفة والتربية؟ هل استطاعت أن تساعد الأفراد على سرعة إنجاز أعمالهم واستغلال وقتهم الاستغلال الأمثل أم العكس؟

إنَّنا في هذه الورقة لن نتطرق إلى التكنولوجيا بمعناها العام جملةً وتفصيلًا، ولكنَّنا سنُركز فقط على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتي تُعدُّ من أهم أساسيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول المتقدمة والدول النامية، و- أيضًا - لن تتناول الورقة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بمجملها وبكل معانيها وتفصيلاتها، ولكن ستقتصر فقط على:

أولًا - البث التلفزيوني الفضائي.
ثانيًا - تقنيات الإنترنـت.
ثالثًا - الهواتف المحمولـة.

وتنطلق هذه الورقة من عدة تساؤلات نوردها في الآتي:
ما الذي تقدَّمه لنا تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات؟ وما الذي تسلبه منا؟ وما المشاكل الناتجة عن سوء استخدامنا للتكنولوجيا؟ وإلى أي مدى أثَّر انتشار وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الأفـــراد سلبًا وإيجابًا؟ وهل ما نشهده من تطوِّر في هذا المجال مســـؤول عن بعض السلوكيات الخاطئة لدى بعض الأفراد؟
ماذا أضافت هذه التقنية لحياتنا في مجالات المعرفة والتربية؟ هل استطاعت أن تساعد الأفراد على سرعة إنجاز أعمالهم واستغلال وقتهم الاستغلال الأمثل أو العكس.
هذا ما سنحاول البحث فيه بشيءٍ من الإيجاز من خلال المحاور الآتية:
المحور الأول : مفهوم تقنية الاتصالات والمعلومات ، وفي المحور الثاني : أهم تقنيات المعلومات والاتصالات ، وفي المحور الثالث : أثر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على الأفراد ، المحور الرابع : المشكلات الناتجة عن استعمال تقنية الاتصالات والمعلومات، وفي المحور الخامس : آليات التعامل مع المشكلات الناتجة عن استعمال تقنية المعلومات والاتصالات.

المحور الأول ـ مفهوم تقنية الاتصالات والمعلومات وأنواعها:

إنَّ تتبع المسار الذي تطورت فيه تقنية الاتصالات عبر عصور الاتصال المعروفة: الاتصال الشفوي، والكتابة والطباعة، وعصر الاتصال الإلكتروني، ثم تتبع مسار تطور استخدام وسائل الاتصال في الوطن العربي، يبين لنا أنَّ استخدام الطباعة والصحافة قد

ساعد على تحقيق إنجازات ناجحة في معظمها، مع الحرب العالمية الثانية، ومن خلال استقلال البلدان العربية، وأيضًا كان لعصر الكتابة أثاره المهمة في النهضة الحضارية العربية في أوج مجدها.

أما في أوربا فإنَّ الحياة بدأت تدب فيها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وقد شاهدت تلك الفترة (المرحلة) اختراع المطبعة، فبدأ (عصر الاتصال الجماهيري، وقد جاء هذا العصر عقب الحقبة الشفوية، والتي امتدت الآلف السنين والتي أعتمد فيها الإنسان على الذاكرة كمرجعٍ وسندٍ ومخزنٍ للمعرفة، أمَّا الحقبة الثانية: فبدأت مع مشارف ميلاد المسيح وشهد عصر الكتابة إنجازات علمية، وقيام حضارات قوية كالحضارة العربية.

وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر مولد عدد من الاختراعات الإلكترونية، فبدأت تظهر ملامح تقنية اتصالية جديدة كان لها التأثير القوي في هذا القرن، وتميز القرن العشرين عن بقية عصور الاتصال الثلاثة السابقة وهي الاتصال الشفوي، والكتابة، والطباعة، لاستخدام وسائل الإعلام الإلكترونية فيه وما لها من تأثير خصوصًا في مجال التنمية بالنسبة إلى بلدان العالم الثالث.

وتطورت بعد ذلك وسائل الاتصال بشكلٍ عامٍ حتى وصلت لِمَا هي عليه الآن من تقنية في مجال الاتصال والمعلومات فما هي "تقنية الاتصالات والمعلومات ؟".

مفهوم تقنية الاتصالات والمعلومات:

إنَّ تقنية الاتصالات والمعلومات مفهوم غير واضح المعالم بشكلٍ تامٍ ، وإنَّما يعكس معاني مُتعدِّدة لعل أهمها كما يشير (فرد ريك ويليامز) "إنَّ مجتمع الاتصال هو المجتمع الذي يعزي فيه النمو الاقتصادي إلى التقدم التكنولوجي.. تمامًا كما أنَّ الآلات هي أدوات الاقتصاد الصناعي ، فإنَّ تكنولوجيا التحسيب والاتصالات البعيدة هي أدوات اقتصاد المعلومات الجديدة" [2]، أي أنَّ مجتمع الاتصال أو مجتمع المعلومات هو مجتمع تستخدم فيه المعلومات بكثافة وعندما نتحدث عن قطاع المعلومات فلا بدَّ من تجزئة الحديث إلى ثلاثة أجزاء أو قطاعات[3]:

الأول- يتعلَّق بخلق أو إيجاد المعلومات (قطاع المحتوى)

الثاني - يتعلَّق بنقل وتوصيل المعلومات.

الثالث- يهتم بمعالجة المعلومات.

جزئية محتوى المعلومات تتكوَّن من المؤسسات في القطاع العام أو الخاص التي تتبع وتطوَّر الملكية الفكرية أي : المعلومات التي يولدها الكتاب والمؤلفون،

والموسيقيون والفنانون، والمصورون، بمساعدة المحررين ومنتجي الأفلام، ومنتجي التلفزيون وصانعي الرسوم المتحركة، هـــؤلاء يبيعون أعمالهم للناشرين، وهيئات الإذاعة وشركات الإنتاج والتوزيع التي تأخذ الملكية الفكرية الخام وتعالجها بطرقٍ مُتعدِّدة مختلفة حتى تستطيع القيام بتوزيعها وبيعها لمستهلكي المعلومات.

وقد جاءت العولمة محمولة على أعناق وأكتاف ثورة الاتصالات [4]، أي : طوفان الموجات الإلكترونية الضوئية والمرئية والمسموعة والمُقررة، والتي تتحوَّل بها وسائل المعلومات والأخبار والأفكار والتوجيهات والأوامر والإيحاءات ودلالات الأعمال الفنية الدرامية والتشكيلية والموسيقية، تتحوَّل إلى صورٍ وكلماتٍ وأصواتٍ بالألوان والأصداء الطبيعية والاصطناعية، فالعولمة بأي مفهوم لها سواء كان هذا المفهوم سلبي أو إيجابي، اقتصادي أو سياسي، ثقافي أو استراتيجي ما كانت لتأتي بالصورة التي نراها عليها منذ أواخر القرن العشرين وتزداد وضوحًا منذ بداية القرن الحادي والعشرين لولا ثورة الاتصالات ، بمعنى : أنَّ ثورة الاتصالات بكلِّ معالمها وأدواتها هي التي حملت حقائق العولمة وحولتها إلى حقيقة فعلية تعيشها البشرية كلَّها تقريبًا، وهي بذلك أي : ثورة الاتصالات هي ثورة مُتعدِّدة الوجوه – فنية – ثقافية – سياسية – اقتصادية – اجتماعية، وبذلك استخدمتها العولمة لنشر أفكارها وإيحاءاتها ودلالاتها وتحقيق سيادتها على عقول البشرية كلها.

إنَّ ثورة الاتصالات التي أخضعتِ المعرفة وتطبيقاتها العلمية لمعاييرها ومصالحها الكوكبية التقنية لا تشمل مجرد وسائل الاتصال التقليدية، مثل: الراديو والتلفزيون والهاتف والحواسيب الآلية والإنترنت وشبكات المعلومات الإقليمية والدولية، وإنَّما شملتِ التعليم والتثقيف الترفيه والدعوى الدينية من المدارس والجامعات ومراكز البحوث والجمعيات إلى المكتبات ودور العبادة وقاعات العرض وغير ذلك، لأنَّ الإنتاج الحقيقي يتم هناك في مصانع إنتاج المعرفة والمرتبطة بقوى العولمة.

المحور الثاني – أهـــم تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة:

إنَّ من أهم أنواع تكنولوجيا المعلومات، والتي يمكن استخدامها بشكلٍ واسعٍ ما يلي:
الحاسوب ، والأقراص المكتنزة أو المضغوطة ، وأسطوانات الفيديو (الأسطوانات المرئية).،و الفيديو تكس (النص المرئي) ، والتيليتكست ، والبث التلفزيوني الفضائي. و تقنيات شبكة الإنترنت ، والهواتف المحمولة.

وما يهمنا في هذه الورقة هو تسليط الضوء على البث التلفزيوني الفضائي، وشبكة الإنترنت، والهواتف المحمولة، وهذا ما سنتحدث عنه بإيجاز.

أولًا ـ البث التلفزيوني الفضائي : والذي يُعدُّ عاملًا مُهمًا في تكوين الاستيعاب العقلي والوعي لدى الإنسان، ويحدد نظرته إلى مجتمعه والعالم، وهو النافذة التي من خلالها ينظر الجمهور إلى مؤسساته الاجتماعية وإلى العالـــم الخارجي، وبهذا فهي[5] تكتسب البنية الفوقية التي تُؤثر في وعي الأفراد، وحيث إنَّ البث التلفزيوني الفضائي كوسيلة من وسائل تحدِّد المواضيع المهمة التـــي يتداولها الناس، وتُحدد عواقبـها وطرق معالجتها، فهي تُؤثر في تفكير وتصرف جماهيرها، إذ إنَّ ما تعرضه من مضمون يصبح موضوع نقاش بين الجماهير، حيث إنَّ هذا المضمون يتغلغل أيضًا عن طريق الاتصال الشخصي الذي يستفزه ما تعرضه وسائل الإعلام، وتُعدُّ هذه التقنية صلة الوصل بين الجماهير والأحداث الاجتماعية المختلفة، غير أنَّ هذا الوسيط والذي يمثل الصلة قد يكون حياديًا، يعمل لحلقة وصل بين الأفراد فيما بينهم وبين المؤسسات الاجتماعية الأخرى فيساعد علـى توفير المشاركة الشعبية في كل ما يتعلق بالمجتمع، أو يكون وسيطًا في عملية سيطرة لها هـــدف أو غايـــــة مُحدَّدة، وفي هذه الحالة تلعب هذه الوسيلة من وسائل الإعلام المنبر الذي تنقل عبره الرسائـل الإعلامية المنتقاة إلى الجماهير، فتعرض لها صورة مختارة من الواقع، وليس كل الواقع، وحينما يلعب هـذا الدور بشكلٍ منتظمٍ ومستمرٍ ينتج عنه في الغالب تحريض على تغيير الواقع لدى جماهير وسائل الإعلام.

ويُعدُّ التلفزيون أهم مؤسسة تعليمة غير تقليدية، وهي إمَّا أن تؤثر تأثيرًا إيجابيًا بناء على قدرات المُتلقي العقلية، أو تُؤثر تأثيرًا سلبيًا هدَّامًا، حيث إنَّها لا يمكن أن تمرَّ عليه مرورًا عابرًا، فهي أداة أساسية لبرمجة العقل وبناء القيم ، وقد يعرض هذا الجهاز عن طريق البث الفضائي برامج تعليمية فتتحوَّل الشاشة إلى سبورة، أو برامج ثقافية علمية يقوم بإعدادها وتقديمها أناس غير متخصصين، فتأتي مُشوَّشة يختلط فيها الصواب والخطأ ـ وقد يعرض برامج أخرى كالأغاني والمسلسلات والأفلام والتي تهدف إلى الترويج، ولكنها في الغالب تؤدي إلى إضعاف القدرات العقلية لمَن يتعرَّض لها لوقتٍ طويلٍ.

ويمكن أن نُشبِّه التلفزيون ومحطات البث الفضائي بمجلة يستطيع المُتلقي انتقاء ما يشاء منها، كالبرامج الرياضية أو الصحية أو أخبار الطقس أو الأفلام السينمائية، أو غير ذلك.

ومن ميزات هذه التقنية أنَّها تسمح بالانتقائية بما يتماشى وذوق المتلقي، ولكن تكمن المشكلة من أن المتلقي في أغلب الأحيان وخاصة في بلدان العالم الثالث لم يصل إلى

درجة من الوعي تسمح له بانتقاء الأفضل ـ حيث يزداد عشقًا وتأثيرًا بالتلفزيون الأجنبي وما تقدَّمه قنواته عبر الفضائيات، أيضًا بعض القنوات العربية والتي تمولها دول أجنبية لأسباب سياسية وثقافية غير مُعلن عنها، فتحدث الطامة هنا حيث يتعرَّض المشاهد لشرخ في هويته وابتعاد عن دينه وقوميته وقيمه، ولعلَّ كل ذلك لأنَّنا لم ندخل هذه التقنية كمشاركين فعَّالين بقدر دخولنا فيها كمستقبلين نفتح العيون والآذان قُبالة الشاشة الصغيرة في دهشة ورغبة لمطالعة المزيد.

ثانيًا ـ تقنيات شبكة الإنترنيت: تُعدُّ هذه التقنية من أهم تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة لإمكانية استخدامها كبيئة للتعلم والتعليم والتواصل، حيث تنفرد هذه التقنية "بإمكانية النفاذ إلى موارد المعلومات عن طريق تطبيق واحد، هو المستعرض ومن منصات عمل مختلفة، وهذه التقنية إذا ما تمَّ تطبيقها على شبكات سريعة أو محلية، فإنَّها ستكون فعَّالة جدًّا وتكلفتها بسيطة وتطويرها سهل؛ لأنَّها مغلقة تحت تقنيات وبرمجيات الخدمة الأكثر أهمية"(6).

ومن أهم ميزاتها:

الوفرة الهائلة من مصادر المعلومات.

الاتصال غير المباشر وغير المتزامن، حيث يستطيع الأشخاص الاتصال فيما بينهم بشكلٍ غير مباشرٍ، ومن دون اشتراط حضورهم في نفس الوقت باستخدام البريد الإلكتروني والبريد الصوتي.

عن طريقها يتمُّ التخاطب في نفس اللحظة كتابيًا أو صوتيًا، وقد يتمُّ التخاطب حيًا على الهواء بالصوت والصورة معًا.

وهذه التقنية يمكن لها أن تُقدِّم العديد من الخدمات في كل المجالات ومنها مجالات التربية والتعليم وغير ذلك، حيث إنَّها تقدم خدمات: / نظام البريد الإلكتروني، خدمة المحادثة، ونظام نقل الملفات، وخدمة البحث في القوائم، وخدمة المجموعات الإخبارية، وخدمة البحث، وخدمة الشبكة العنكبوتية.

فهذا النوع من التقنية يُقدِّم خدمات هائلة للمجتمعات ويقتصر الوقت والجهد، ولكنه لا يخلو من عيوب بحكم إمكانية الدخول على مواقع مخزية قد تكون هي الأخرى مُمولة ومُوجهة من قبل دول لها المصلحة في ذلك، وبذلك فإنَّ استعمال هذا النوع من التقنية يحتاج لدرجةٍ كبيرةٍ من الوعي لم يصل إليها مواطنو مجتمعنا بعد.

ثالثًا ـ الهواتف المحمولة: وهي تُعدُّ وسيلةً من وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات القديمة والحديثة، وتأتي حداثته من التطور المذهل الذي شهده في العشرين

سنة الأخيرة، حيث تحوَّل من مجرد هاتف محمول ينقل الأصوات عبر موجات صوتية تخترق المسافات البعيدة إلى أجهزة مزودة بكماليات تقنية حديثة، مثل: نقل الصورة، أو الاتصال بشبكة المعلومات الدولية، وأصبحت له العديد من المزايا، ممَّا مكَّن الإنسان من سرعة الاتصال في أي مكان وزمان.

المحور الثالث ـ أثر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والمعلومات على الأفراد:

ممَّا لاشكَّ فيه أنَّ لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات دورًا واضحًا في عملية التغريب، حيث إنَّ هذا العلم وسعينا وراءه كما هو عليه قد يغربنا عن حضارتنا وقيمنا، وأنَّ الخطر الحقيقي يكمن في استهلاكنا له دون تمييز، فعلى الرَّغم من أنَّ آثاره الإيجابية كثيرة إلَّا أنَّنا لا نستطيع تجاهل المشكلات التي تسببها وتأثيرها على الأفراد، وهذا ما سنتناوله في المطلبين القادمين.

أولًا ـ الآثار الإيجابية لتقنية الاتصالات والمعلومات: إنَّ مجموعة هائلة من التقانات المتداولة اليوم تحيلنا إلى المعلومات عن طريق التلفاز الرقمي، الطرق السيارة الإلكترونية، المكتبات الإلكترونية، الأقمار الاصطناعية، البريد الإلكترونية، القرص الضوئي ... الخ، وهي التي تحيلنا إلى المعلومات وإلى نظم إنتاجها ونقلها وتخزينها، واسترجاعها، ومعالجتها سواء كانت نصًا أو صورة أو صوتًا.

شمولية صناعة المعلومات أفقيًّا وعموديًّا، حيث إنَّها مسَّت جميع مجالات النشاط الاقتصادي والاجتماعي، وأدمجت مجموعة من التقنيات والعلوم لتستهدف مجالات الإبداع من موسيقى، وسينما، وفنون تشكيلية، وغيرها.

إنشاء قواعد بيانات ذات مخرجات غير مركزية (على المستوى الدولي) [7]

التوصُّل إلى خدمات المعلومات والبيانات بالخط المباشر أو قواعد البيانات عن بعد بواسطة العديد من المستفيدين وفي وقت واحد.

التبادل فيما بين قواعد البيانات للمستفيدين المحليين وتوليد خدمات معلومات معتمدة على قواعد البيانات هذه توصيل الوثائق باستخدام الناسوخ ـ الفاكس.

التعاون في عملية النشر الإلكتروني.

سهولة الاتصال بين دول العالم في وقت قصير، حيث يتيح لنا البث المرئي الفضائي متابعة ما يجري في كل الدول رغم تباعد المسافات، وكذلك الاتصال عن طريق المحمول والنت.

تتيح فرصة تلاقي وتعارف شعوب مختلفة ليفهم كل منهم ثقافة الآخر وحضارته.

سهولة التعليم والتقاط كافة العلوم والتعامل معها.

على الرَّغم من وجود تلك الآثار الإيجابية والتي ذكرناها بشيءٍ من الاختصار إلَّا أنَّ الأمر لا يخلو من وجود بعض الآثار السلبية لهذه التقنية.

ثانيا ـ الآثار السلبية لتقنية الاتصالات والمعلومات: الاستخدام المُفرط للأنترنت يُسبب في حدوث بعض الأضرار الصحية لعلَّ من أهمها السمنة، وتشتُّت التفكير نتيجة العيش أغلب الوقت مع عوالم أخرى غير عالمه الحقيقي، كذلك ضياع الوقت وعدم استخدامه فيما يفيد.

أمَّا الآثار السلبية للأنترنت على الأطفال تتمثَّل في إمكانية تعرُّضهم للانحراف؛ وذلك نتيجة لقضائهم ساعات طويلة أمام شبكة الأنترنت، والهواتف المحمولة دون رقابة أسرية ممَّا يجعلهم عرضة للانحراف وقد يضعهم في مشاكل كبيرة تتمثَّل في تغيير سلوكياتهم نتيجة لممارسة الألعاب العنيفة أو مشاهدة بعض المشاهد الإباحية، ممَّا يؤثر بالسلب على شخصياتهم وتفكيرهم، ناهيك عن شعورهم بالتعب والإرهاق نتيجة لجلوسهم بالساعات أمام جهاز الكمبيوتر أو الهاتف المحمول، بالإضافة لتعودهم الوحدة وعدم الاختلاط، ممَّا يجعلهم غير اجتماعيين.. والآثار السلبية التي تطال المراهقين نتيجة الاستعمال الخاطئ، لهذه التقنيات فهي كثيرة أيضًا وتتمثل الخطورة عليهم خاصة وهم في سن حرجة، وتحتاج إلى معاملة خاصة لأنَّه من السهل التأثير عليهم وانقيادهم، حيث يمكن التخطيط لضياع هذه الشريحة المهمة من الشباب واللعب بعقولهم وإفسادها أحيانا من جهات لها مصلحة في ذلك، فيتم ذلك بتخطيط وتركيز ومهارة فائقة.. وتتمثل الآثار السلبية لهم أيضًا في ضياع الوقت، والمشكلات الصحية، والمشكلات الأخلاقية، والعزلة والاكتئاب وغيرها.

المحور الرابع ـ المشكلات الناتجة عن استعمال تقنية الاتصالات والمعلومات:

1- الإحساس بالغربة: فإذا شعر الفرد أنَّ ما تعطيه إياه وسائل الأعلام لا يبحث في الأمور التي تهمه، بل في أمور أخرى تهم النظام المُسيطر عليها يترتب عليه أنَّ الفرد يشعر بأنَّ ما يتلقاه من مضمون غير واقعي ولا صلة له بواقعة، وفي حالة ما قبل ذلك يجد نفسه مُندفعًا للثورة على قيمة وطرق معيشته فيصبح بالتالي غريبًا عن مجتمعه الذي يعيش فيه وغريبًا عن نفسه.

2- تخدير المجتمعات المتلقية وخاصة المتخلفة منها: لانَّ اعتماد هذه الوسائل وخاصة (البث المرئي الفضائي) على الغرب المُتقدم في هذا المجال يبعد الأفراد عن فهم تقاليدهم

وقيمهم الاجتماعية، حيث إنَّ تركيز أغلب وسائل تقنية المعلومات والاتصالات على طرح قيم مقبولة لدى الغرب أو مستوردة منه، هذا يجعل المتلقي في حالة تحذير وغير مبالي بقيمة التقليدية، بل أصبح ما يشاهده الفرد في هذه القنوات يمثل بالنسبة له الحضارة والتمدن الذي يبحث عنه.

إنَّ هذه التقنية تعزِّز ظاهرة الغزو الثقافي وتُقوِّي من محاولات الهيمنة الثقافية وفرض نمطٍ من التفكير والقيم والتقاليد وطريقة الحياة، وكل مضامين الثقافة الأخرى، وعدم الاعتراف بما تمتلكه الأمم الأخرى، خاصة العربية فتحاول قوى الهيمنة فرض العولمة عن طريق وسائل التكنولوجيا، بنشر ثقافة جديدة بديلة عن الثقافة والهوية الخاصة لكل أُمة.

3- تهديد مستقبل الشباب: حينما يكون استخدامه لهذه التقنية مضيعة للوقت ـ وخاصة عند جلوسه لساعات طوال في مقاهي الإنترنيت للدردشة والدخول على مواقع مُخزية.

4- تسطيح المعلومات وتبليد التفكير: حيث يتعوَّد الفرد على الاستقبال وخاصة أثناء متابعته للفضائيات لساعات طوال، فيبتعد عن النقد والتحليل والتحاور ويتعوَّد الاستقبال فقط.

5- تصدع الأسرة وتفككها: من سلبيات الهواتف المحمولة والبث التلفزيوني الفضائي أنَّه أسهم في وجود ضعف التواصل الاجتماعي داخل الأسرة، فبدلًا من أن تجتمع الأسرة للحوار وسماع كلٍّ منهم للآخر أصبحوا يجلسون لمشاهدة التلفاز، أو ينهك كلًا منهم وخاصة الصغار في الإبحار في عالم نقاله، لأنَّ بداخله عالمه الخاص.

6- ضعف التواصل الاجتماعي بين الأقارب والأصدقاء: حيث اكتفوا بالاتصالات الهاتفية في كل المناسبات، وبالتالي قلَّت الزيارات وقلَّ الترابط الاجتماعي.

7-عملية غســـــل الدمـــــاغ:

وهي عملية ذات اتجاهين:

الاتجاه الأول: هو غسل أدمغة أبناء العالم الثالث لحملهم على استهلاك المنتوجات التكنولوجيا وفي مقدمتها المنتجات الإعلامية والإلكترونية.

الاتجاه الثانـــــي: غسل الأدمغة لإشاعة اليأس في قدرة العالم الثالث على المشاركة في الإنتاج والإبداع العلمي والتكنولوجي.

والاتجاه الثاني في عملية غسل الأدمغة أخطر من الأول، ذلك لأنَّ للشركات والهيئات المتحكمة مطامعها الاستغلالية للتسويق التكنولوجي، ولكن الأخطر من ذلك هو أن نقبل بأن نظل سوقًا للاستهلاك التكنولوجي، بدل أن نصبح مصدرًا للإنتاج التكنولوجي، فلو

استطاع العرب نهج الأسلوب العلمي ومحاولة إنتاج التكنولوجيا بدلًا من استهلاكها فقط لتحقق (التملك الذاتي).

مشكلات تهدد كيان الأســـــــــــرة:

قد تعكس هذه التقنية الجانب المُدمر لها من خلال ما تسببت فيه مقاطع (البلوتوت) في تطليق العديد من الزوجات عن طريق أخذ الصور لهن، وأيضًا من انحراف الكثير من الشباب، وخاصة في مرحلة المراهقة.

ولعلَّ من أبرز سلبيات شبكة الأنترنيت عدم الرقابة والإباحة، والإدمان، والعزلة، الاعتقاد بأنَّ المعلومات على الشبكة دائمًا صحيحة.

"وفي مواجهة هذه التطورات المذهلة في سوء استخدام تقنية الاتصالات الحديثة، بدأت تبرز مُؤخرًا بوادر مشجعة في بعض الأقطار العربية، ربما في محاولة واعية لتعزيز مرحلتي الاحتواء، والإغراق كما في التجربة الأردنية في ديمقراطية الإعلام، وتجربة تحويل وكالة أنباء الإمارات العربية إلى وكالة خاصة عامة، وحظر بيع أطباق التلفزيون في العربية السعودية في محاولة لدرء خطرها" (8).

وإذا كان ما ذكرناه من آثار سلبية يُشكِّل خطورة على مجتمعاتنا فما هو الدور الفعلي للخدمة الاجتماعية في مواجهة هذه السلبيات هذا ما سنبحث فيه في المبحث المقبل.

المحور الخامس ـ آليات التعامل مع المشكلات والتخفيف من حدتها:

إذا كانتِ الخدمـــــة الاجتماعية مهنةً إنسانيةً تعمل على تهيئة أسباب التغير تحقيقًا للرفاهية الاجتماعية بأسلوب منهجي يجند طاقات الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية بتدعيم قدراتها وإمكانياتها، وعلاج مشاكلها على أساس من المساعدة الذاتية وفي الإطار الإيديولوجي للمجتمع

فمن هذا المنطلق يتضح لنا كيف تستطيع هذه المهنة أن توجه طرقها ومناهجها المختلفة في مواجهة المشكلات المترتبة على انتشار التكنولوجيا، وهذا ما سنتحدث عنه بشيْ من الإيجاز.

أولًا ـ استخدام الأساليب الإنمائية والوقائية مع الأفراد لحمايتهم من الآثار السلبية الناتجة عن سوء استخدام وسائل الاتصالات المذكورة:

1- توعية الأفراد عن طريق التعاون مع المؤسسات التعليمية المختلفة، والتركيز على محاضرات التوعية بهذا الشأن، وتبصيرهم بالإضرار الفكرية والاجتماعية من جراء إدمانهم على هذه التقنيات دون وعي سابق.

2- العمل على إكساب الأفراد القدرة على التفكير الجاد والقادر على التمييز بين ما يفيد من البرامج التلفزيونية، وما يُعدُّ مضيعه للوقت ولا هدف له إلا تسطيح الفكرة.
3- تشجيع الأفراد على نقل هذا الوعي لأفراد آخرين سواء كانوا داخل الأسرة أو داخل البيئة المحيطة.
4- مساعدة الأفراد على التخلص من الإدمان على الفضائيات ومواقع الإنترنيت (السلبية) وتوجيههم لمواضيع أهم مثل: الاهتمام بالدراسة والمطالعة، والتثقيف ..الخ .
5- دراسة وتشخيص وعلاج حالات الانحراف التي جاءت كنتيجة لهذه السلبيات ـ ونوعيتها، ورسم خطط واضحة لتعديل السلوك.

ثانيًا ـ استخدام أساليب وآليات التعامل مع المجتمع لحمايته من الآثار السلبية الناتجة عن سوء استعمال وسائل الاتصالات المذكورة سابقًا:

بمساعدة المجتمعات المحلية على تحديد مشاكلها ودراسة أسباب هذه المشاكل وإعداد الخطط اللازمة لمواجهة، هذه المشاكل من النواحي العلاجية والوقائية في إطار الخطة القومية العامة للدولة، وبظهور التكنولوجيا وبيئتها الكمبيوتر، وبتوجيه من علم تحليل الأنظمة، ونظرية الاتصال، حدث تغيير في الاهتمام بالفرد، ووظيفته، وبيئته الاجتماعية.

والمجتمع بمؤسساته الاجتماعية والثقافية في مواجهته لسلبيات التكنولوجيا لابدَّ أن يركز جهوده على العمل من خلال تطبيقه لبعض النظريات والتي تتمثل في نظرية تعديل السلوك بالنسبة للأفراد والجماعات ونظرية الدور بالنسبة للأسرة، والبنائية الوظيفية بالنسبة للمجتمع وفقًا للآتي:

ـ توعية الأســـــرة بأهميـــــة دورها في تكوين الشخصية السليمة وتنمية التفكير العلمي، والعقلية العلمية، التي تؤدي إلى البحث والاستقصاء واتخاذ القرارات الصائبة في الحياة المستقبلية للفرد، وهذا الدور للأسرة يفوق كل المؤشرات التربوية الأخرى النظامية وغير النظامية.

ـ مساعدة الأســـــرة وتوعيتها لتقوم بإحكام الرقابة على ممارسات الأبناء واستخدامهم للتقنية بأساليبها المختلفة والتأكيد على خطورتها التي قد تصيب الأبناء بأضرارٍ كثيرةٍ.

ـ **إقامة حملات توعية تطوعية** تقوم بها الجماعات داخل مجتمعاتهم لنشر الوعي الفكري والثقافي، وترشيد الأفراد والجماعات لما يخدم مصالحهم.

ـ تنظيم برامج لرعاية الشباب ذات طابع تعاوني والهدف منه حمايته من كل المؤثرات الخارجية.

ـ الاستفادة من المؤسسات داخل المجتمع المحلي وتطويعها للعمل التوعوي للأفراد والجماعات وتوعيتهم وتحديد أدوارهم لكيفية الاستفادة من وقت الفراغ.

ـ المساعدة في تطوير وسائل الأعلام داخل مجتمعاتنا : بشكلٍ يؤدّي إلى نشـــــر وعي يقود للمشاركة الشعبية الفعَّالة، وهذا لا يتأتى إلَّا من خلال التخطيط السليم الذي ينطلق من فهم القطاع الإعلامي ودوره في المجتمع، والرؤية الواضحة للأهداف الوطنية، والتخلِّي عن فكرة انتظار شروق الشمس من الغرب.

القيام بثورة ثقافية : ومحاولة فهم الأسباب التي تجعل تبعيتنا للآخر سهلة وميسورة، ومكامن الخلل في إبداعنا، ولماذا هو ضعيف التأثير والإقناع، وما سر تهافتنا على ثقافة وإعلام الآخر.

ـالعمل مع الهيئات والمنظمات المجتمعية المسئولة لإحياء تراثنا من منظور متنور وإيجابي وإدماجه في حركة إبداعية شاملة.

ـ العمل مع قطاع التعليم كأهم قطاع ومد يد العون له، ومساعدته في التخطيط من أجل إنجاز ثورة تعليمية تعمل على تكوين شخصية إسلامية متفتحة وذات مناعة، تثق بقدراتها وتعتز بماضيها، وتعمل على تطوير حضارتها.

ـالمساعدة في تحسين نمط التعليم في مجتمعنا : بحيث يصبح تعليمًا ينبذ التلقين والتكرار ويقوم على منهجية علمية تنمي روح البحث والمعرفة، ويُطوِّر قدرات النقد والتحليل ويطرح المعرفة كحقيقة عليا.

ـ ولعل أهم عمل يمكن أن يقدمه المجتمع في إطار العمل المجتمعي :

هو تقديم برامج عمل للمتخصصين العاملين في قطاع التعليم، للعمل على بناء شخصية الطلبة، وتوعيتهم، وغرس القيم الأخلاقية فيهم، وذلك باستخدام كل أساليب التوعية – لنصل في النهاية إلى بناء جيل واعٍ لا يتأثر بسلبيات وسائل الاتصال المختلفة، بل قادر على النقد، والتحليل، والإبداع، لعلَّها تكون خطوة أولى في الطريق الصحيح.

الهوامـــــــــــش:

[1] - نبيل دجاني / دور وسائل الإعلام في تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي / تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي / بحوث ومناقشات / ندوة فكرية / مركز دراسات الوحدة العربية / 1085 / ص 395.

2-مفتاح محمد دياب / مجتمع المعلومات / المكتب الوطني للبحث والتطوير / الطبعة الأولى / 2005 ص 21.

3 - مفتاح محمد دياب / مجتمع المعلومات / المرجع السابق / ص 55.

4- طارق محمود عباس / خدمات المكتبات الإلكترونية / المركز الأصيل للطبع والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى 2007 ص 28 .29.

5- نبيل دجاني / دور وسائل الأعلام في تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي / مرجع سابق /ص 365.

6- طارق محمود عباس / خدمات المكتبات الإلكترونية / مرجع سابق ص 78.

7- مفتاح محمد دياب – مجتمع المعلومات / مرجع سابق – ص 74.

8 - عصام سليمان موسى / ثورة وسائل الاتصال وانعكاساتها على مراحل تطور الإعلام العربي القومي – مجلة المستقبل العربي / مركز الوحدة العربية / العدد 205 / 1997 / ص 126.